فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

نقد تاريخ الادب العربي

للاستاذ الزيات (تلو)

ونقل في ص ١٤٥ قول بعضهم في الصاحب بن عباد « لو رأى سجعة تحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه ان يتخلى عنها (١)» وقال في ص ١٥٩ « ولنظرة عجلى في فهرس اليتيمة للثعالبي تكفيك لتعلم أثر ذلك التشعب السياسي في نهضة الشعراء » فكيف انكر اولا من هذا الكتاب وغيره ما يدركه الآن بنظرة عجلى في فهرست اليتيمة ؟ ونقل في ص ١٧٧ قول الاصمعي « ان شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى » أفلا يدل هذا على تتبع منهم للشعر ؟ ونقل في ص ١٧٤ قول الجاحظ في بشار بن برد « كان بشار خطيباً صاحب منظوم ومنثور ومزدوج وسجع ورسائل وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع المتفننين في الشعر القائلين في اكثر اجناسه وضروبه » وفي ص ١٨١ قوله في ابي نواس « ما رأيت أحداً كان اعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح لهجة منه مع حلاوة ومجانبة استكراه ، ولج ابواب الشعر كلها إلا انه امتاز من كل الشعراء بفحش مجونه وصراحة قوله وصدقه في تصوير خليقته وبيئته ووصفه الخمر وصفاً لو سمعه الحسنان

---

١) قلنا : ان هذا القول ينطبق على العماد الاصبهاني محمد بن صفي الدين الكاتب المشهور والمؤرخ البارع المتوفى سنة (٥٩٧) بدمشق ، فانه كتب مرة عن الملك الناصر صلاح الدين الى اخيه العادل محمد بن ايوب بمصر ما استوجب نفوره وضجره وفي ذلك يقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني للملك العادل المذكور :« فتلك لفظة ما المقصود بها من الملك النجعة وانما المقصود بها من الكاتب السجعة وكم من لفظة فظة وكلمة قيها غلظة حيرت عي الاقلام فسدت خلل الكلام وعلى المملوك الضمان في هذه النكتة وقد فات لسان القلم منها اي سكتة وكان المملوك حاضراً وقد جرت قوارع الاستحثاث وصرصر البازي وقويت نفس (العماد) قوة نفس البغاث والسلام » راجع « ٢ : ١٥٨ » من الوفيات .

لهاجرا اليها وعكفا عليها » ونقل في ص ٢١٠ ، ٢١١ قول الثعالبي في الشريف الرضي « وهو اشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه اشعر قريش لم أبعد عن الصدق ... ولست ادري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه » فهذه المقتطفات التي وضعها الاستاذ الزيات غيض من فيض مما ذكره علماء العرب على تطور النثر والنظم ومراتب الكتاب والشعراء فيه ، فلا يقال انهم لم يبينوا مابين الشعراء والكتاب من علاقة في الصناعة والغرض والاسلوب ولم يذكروا ماعرا النظم والنثر من تحويل وتقليب، ولكن يقال : ذكروه مفرقاً مشتتاً .

٥ — عصر انحطاط الادب العربي

وقال الاستاذ في ص ٣ مقسماً الادب بحسب اعصره « ٣ — العصر العباسي ومبدأه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد في يد التتار سنة (٦٥٦) وايد هذا القول في ص ١٢٣ بأن قال « ولكن العربية بقيت في حمى القرآن تدافع سيل الفارسية والتركية الجارف وقد عز النصير من اهلها حتى غلب التتار على بغداد فغلبت على امرها وخضعت لقانون الطبيعة القاهر بعدما خلفت في تلك البلاد شرائع وعلوماً وآداباً لم تقو على محوها الايام » ثم نقض رأيه هذا في ص ١٦٠ فقال: « حتى تجرم القرن الخامس للهجرة فذهب معه جمال الشعر العربي من الشرق وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من بني بويه وقلة الراغبين فيه من آل سلجوق واستشعار النفوس الذل الغلبة والقهر بتوالي الفتن والاحن » فاين بقي العصر الذي اشار اليه اذا كان جمال الشعر العربي قد انصرم بانصرام القرن الخامس ؟ ولماذا جعل هذا القسم موافقاً للعصر السياسي مع ان له عصراً ادبياً اولى به من ذاك ؟ .

وما أدري كيف قال هذا وفي هذا العصر من الشعراء « الغزي الكلبي » و « شميم الحلي » و « مهذب الدين » و « ابن الآمدي » و « ابن السوادي » و « هبة الله بن الفضل » و « الطغرائي » الذي قال هو فيه بصفحة « ٢٢١ » ما مثاله « شعر الطغرائي عامر الابيات ، متين القافية ، مختار اللفظ » وفيه « ابن خياط الدمشقي » و « القاضي ابن الدروي » و « الابيوردي » و « ابن

الهبارية » و « حيص بيص » و « ابن الدهان الموصلي » و « ابن القيسراني » و « الابله البغدادي » و « ابن التعاويذي » و « ابن المعلم » و « موفق الدين الاربلي » و « المؤيد الآلوسي » و « نصر النميري » و « ابو الفتوح بن قلاقس » و « البديع الاسطرلابي » و « ابن سعيد المنبجي » و « الخطيب الحصفكي » و « ابو الجوائز الواسطي » و « دلال الكتب الحظيري » و « ابن حديس الصقلي » و « الرصافي الاندلسي » و « ابن أبي الصلت الاندلسي » و « ابن الصائغ » و « ابو العرب الصقلي » و « ابو بكر القرطبي » و « جمال الدين » و « مهذب الدين » و « ابن الساعاتي » و « عمارة اليمني » و « ابن الحداد » و « القاضي الارجاني » و « الرشيد ابن الزبير الغساني » و « ابن سناء الملك » و « ابو بكر بن طفيل » و « علي بن حزمون » و « ابو بكر يحيى المرسي » و « شبل الدولة » وغيرهم من فحول الشعراء ؟

فقد كان الشعر محبوباً الى اهله حتى الى النساء . قال ابو محمد الحسن ابن عسكر الصوفي الواسطي : كنت ببغداد في سنة احدى وعشرين وخمسمائة جالساً على دكة بباب ابرز للفرجة ، إذ جاء ثلاث نسوة فجلسن الى جانبي فانشدت متمثلا :

هواء ولكنه جامد وماء ولكنه غير جار

وسكت ، فقالت لي إحداهن : هل تحفظ لهذا البيت تماماً ؟ فقلت : ما احفظ سواه ، فقالت : ان(١) انشدك تمامه وما قبله فماذا تعطيني ؟ فقلت : ليس لي شيء اعطيه ولكني أقبل فاه ، فانشدتني الابيات المذكورة ، وزادت بعد البيت الاول :

اذا ماتأملتها فهي(٢) فيه ه تأملت نوراً محيطاً بنار
فهذا النهاية في الابيضا ض وهذا النهاية في الاحمرار

يتبع مصطفى جواد

---

١) هكذا ورد ولعل الاصل « من انشدك » راجع « ١ : ٣٨٩ » من الوفيات .
٢) كذا ولعل الاصل « وهي فيه » .